الأقلية اليهودية في البصرة في العهد الملكي

أ.م.د. نغم عبد الهادي مهدي شبع

Assistant Prof. Dr.Nagham Abd AL -Hadi Mahdi

أستاذ التاريخ الحديث المساعد في قسم التاريخ/ كلية التربية/ الجامعة المستنصرية

nagamabd8@uomustansiriyah.edu.iq

الأقلية اليهودية في البصرة في العهد الملكي

أ.م.د. نغم عبد الهادي مهدي شبع

الملخص

يتناول البحث الأقلية اليهودية في البصرة بوصفها إحدى الجماعات الدينية التي شكّلت جزءًا من النسيج الاجتماعي للمدينة، ويركز على أوضاعها الديموغرافية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية خلال النصف الأول من القرن العشرين، وهي مرحلة شهدت تحولات سياسية واقتصادية مهمة بدأت مع أواخر العهد العثماني والاحتلال البريطاني، ثم تأسيس الدولة العراقية عام ١٩٢١. ويعرض البحث التوزيع السكاني لليهود في لواء البصرة وأماكن وجودهم، فضلًا عن تنظيمهم الطائفي والحقوق التي تمتعوا بها في إطار الدولة العراقية.

ويولي البحث اهتماما واسعًا بالنشاط الاقتصادي ليهود البصرة، متتبعًا تطوره من الأنشطة التجارية البسيطة إلى اتساع مشاركتهم في التجارة والاستيراد والتصدير والصيرفة وتأسيس الشركات والوكالات التجارية، ولا سيما في تجارة الأقمشة والمواد الغذائية والحبوب والتمور ومستلزمات السيارات ومواد البناء، فضلًا عن مشاركتهم في غرفة تجارة البصرة. كما يبحث في نشاطهم في الأراضي الزراعية والعقارات، وما ارتبط بذلك من معاملات مالية وائتمانية وملكية للأراضي.

ويتطرق البحث كذلك إلى الحالة التعليمية لليهود في البصرة، ودور المدارس اليهودية، وفي مقدمتها مدرسة الأليانس، وعلاقة تلك المدارس بالسياسة التعليمية للدولة وإشراف وزارة المعارف عليها، ثم يتناول ظهور عدد من الجمعيات ذات الصلة بالمجتمع اليهودي والنشاط الصهيوني في المدينة خلال عشرينيات القرن العشرين. وبذلك يسعى البحث إلى بيان طبيعة حضور الأقلية اليهودية في البصرة، ومجالات نشاطها وتحولاتها في سياق التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي شهدها العراق خلال المدة التي يتناولها البحث.

الكلمات المفتاحية : (البصرة، الأقلية اليهودية، يهود العراق، النشاط الاقتصادي، التعليم، الجمعيات الصهيونية).

Abstract

This study examines the Jewish minority in Basra as one of the religious communities that formed part of the city's social fabric. It focuses on its demographic, economic, social, and educational conditions during the first half of the twentieth century, a period marked by significant political and economic transformations beginning in the late Ottoman era and the British occupation, followed by the establishment of the Iraqi state in 1921. The study explores the demographic distribution of the Jewish population in the Basra Liwa and their areas of residence, as well as their communal organization and the rights they enjoyed within the framework of the Iraqi state.

Particular attention is devoted to the economic activities of Basra's Jewish community, tracing their development from small-scale commercial activities to broader involvement in trade, import and export, money exchange, and the establishment of commercial companies and agencies. These activities included the trade of textiles, foodstuffs, grains, dates, automobile supplies, and building materials, in addition to their participation in the Basra Chamber of Commerce. The study also examines their involvement in agricultural lands and real estate and the financial, credit, and property transactions associated with these activities.

The study further addresses the educational conditions of the Jewish community in Basra, particularly the role of Jewish schools, foremost among them the Alliance School, their relationship with the educational policies of the Iraqi state, and their supervision by the Ministry of Education. Finally, it discusses the emergence of several associations connected with the Jewish community and Zionist activity in Basra during the 1920s. In doing so, the study seeks to illustrate the nature of the Jewish minority's presence in Basra, the various spheres of its activity, and the transformations it experienced within the broader political, economic, and social developments that Iraq underwent during the period under study.

Keywords: Basra; Jewish Minority; Iraqi Jews; Economic Activity; Education; Zionist Associations.

المقدمة

تعد مدينة البصرة، بحكم موقعها الجغرافي واتصالها بالخليج العربي وارتباطها بطرق التجارة الداخلية والخارجية، بيئةً حضريةً اتسمت بالتنوع السكاني والاجتماعي والديني، وأسهمت الجماعات التي استوطنتها في تشكيل جوانب متعددة من حياتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وكان اليهود من بين الجماعات التي تمتعت بحضور تاريخي في المدينة، وأصبحت دراسة أوضاعهم مدخلاً مهماً لفهم جانب من طبيعة المجتمع البصري وتحولاته، ولا سيما خلال المرحلة التي شهدت أواخر العهد العثماني، والاحتلال البريطاني للعراق، ثم قيام الدولة العراقية الحديثة عام ١٩٢١ وما أعقب ذلك من تطورات.

وتنبع أهمية دراسة الأقلية اليهودية في البصرة من أن تاريخها لا يقتصر على تتبع وجود جماعة دينية في المدينة، وإنما يرتبط بجملة من التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها البصرة والعراق عموماً خلال النصف الأول من القرن العشرين. فقد كان لليهود حضور في النشاط الاقتصادي والتجاري، وامتلكوا العقارات والأراضي، وأنشؤوا مؤسساتهم التعليمية والاجتماعية، في الوقت الذي تأثرت فيه أوضاعهم بالتحولات السياسية الداخلية والتطورات الإقليمية والدولية التي انعكست على طبيعة علاقتهم بالدولة والمجتمع.

وانطلاقاً من ذلك تتمحور إشكالية البحث الرئيسة حول السؤال الآتي: كيف تطورت أوضاع الأقلية اليهودية في البصرة خلال النصف الأول من القرن العشرين، وما طبيعة حضورها الديموغرافي والاجتماعي والاقتصادي والتعليمي، وكيف أثرت التحولات السياسية والفكرية في أوضاعها وعلاقتها بالمجتمع والدولة؟

ويتفرع عن هذه الإشكالية عدد من التساؤلات، من أبرزها: ما حجم الوجود اليهودي في البصرة وطبيعة تنظيمه الاجتماعي والديني؟ وما المكانة التي شغلها اليهود في النشاط الاقتصادي والتجاري وملكية العقارات والأراضي؟ وما طبيعة مؤسساتهم التعليمية، ولا سيما المدارس التي ارتبطت بشبكة الأليانس؟ وإلى أي مدى أسهمت الجمعيات والمؤسسات اليهودية، وما ارتبط ببعضها من نشاط ذي توجه صهيوني، في إحداث تحولات داخل الجماعة اليهودية؟ وكيف انعكست المتغيرات السياسية التي مر بها العراق والمنطقة على أوضاع يهود البصرة؟

واعتمد البحث المنهج التاريخي التحليلي القائم على تتبع الظاهرة في سياقها الزمني، وربط تطوراتها بالظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية المحيطة بها، مع تحليل المعطيات ومقارنتها للكشف عن

طبيعة التحولات التي طرأت على أوضاع الأقلية اليهودية في البصرة، وتجنب النظر إليها بمعزل عن البيئة العراقية التي كانت جزءاً منها.

أما من حيث حدوده، فقد اتخذ البحث من مدينة البصرة إطاراً مكانياً للدراسة، في حين تركز إطاره الزمني بصورة أساسية على النصف الأول من القرن العشرين، مع الرجوع إلى أواخر العهد العثماني بالقدر الذي تقتضيه ضرورة تتبع الجذور التاريخية للموضوع وفهم التطورات اللاحقة.

واستند البحث إلى مجموعة من المصادر والمراجع التي أتاحت تتبع جوانب الموضوع المختلفة ومقارنتها، بما يساعد على تكوين صورة أكثر توازناً عن الأقلية اليهودية في البصرة، بعيداً عن الأحكام المسبقة، مع التمييز بين تاريخ الجماعة اليهودية بوصفها جزءاً من النسيج الاجتماعي العراقي، وبين النشاط السياسي والفكري الذي ارتبط بالصهيونية وما تركه من انعكاسات على أوضاعها.

وجاءت بنية البحث متوافقة مع إشكاليته، إذ تناولت محاوره الوجود السكاني والتنظيم الاجتماعي لليهود في البصرة، وأوضاعهم وحقوقهم، ونشاطهم الاقتصادي وما اتصل به من تجارة وملكية للأراضي والعقارات، فضلاً عن نشاطهم التعليمي ومؤسساتهم ومدارسهم، وصولاً إلى الجمعيات والتنظيمات اليهودية والنشاط الصهيوني وما ارتبط به من تطورات، بما يتيح دراسة الأقلية اليهودية في إطار مترابط يجمع بين أبعادها السكانية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والسياسية.

١- البصرة والتنوع الديني

عُرفت البصرة منذ القدم بالتنوع الديني والثقافي والتعايش منذ الحقبة العثمانية، إذ تجاوز فيها دور العبادة لكل الأديان والطوائف، ولم تعرف الطائفية وفيها الكنائس والأديرة إلى جانب دور العبادة للأديان والطوائف الأخرى، وفي مقدمتها الكنيس، على بُعد أمتار بجانب جامع وكنيسة، وتجسّد الطائفة اليهودية، الذي تحوّل إلى مخزن بعد هجرة (سليمة موشيه نسيم)، آخر يهود البصرة عام ٢٠٠٤[١].

٢- التوزيع السكاني لليهود في البصرة

احتل اليهود العنصر المهم في العراق، إذ عاشوا لفترات طويلة فيه، ولا سيما في بداية الاحتلال البريطاني للعراق عام ١٩١٧[٢]، وسيطرت الأقلية اليهودية في العراق على تطورات مختلفة في نواحي الحياة. ومن أبرز نقاطهم أنهم تفوقوا زماناً مع عدد السكان. وقد اختلفت المصادر التاريخية في تقدير عدد سكان اليهود في العراق؛ فقد قدّر أرنولد ولسن عدد يهود العراق عام ١٩١٩ بـ(٨٦,٤٨٨) ألف نسمة من مجموع سكان العراق البالغ عددهم (٢,٨٤٩,٩٩٥) مليون نسمة[٣].

قدّرت حكومة الاحتلال البريطاني نفوس اليهود في العراق عام ١٩٢٠، عددهم بـ (٨٧,٤٨٨) نسمة، موزعين في المدن العراقية الثلاث: في بغداد (٥٠,٠٠٠) ألف نسمة، وفي الموصل (٧٦,٢٥٠) نسمة،

وفيما يتعلق بالإحصاء الذي أجرته الحكومة العراقية عام ١٩٤٧، فقد بلغ يهود البصرة حوالي (١٠,٥٣٧) [٤] نسمة من اصل نفوس سكان لواء البصرة البالغ عددهم (١٠١,٥٣٥) [٥] نسمة، وبناء على ذلك فان نسبة اليهود يشكلون ما نسبته ١٠،١٠% موزعين في أقضية لواء البصرة الثلاث وهي (قضاء البصرة، قضاء أبي الخصيب وقضاء القرنة)، كما يتبين في جدول رقم (١).

جدول رقم (١) [٦]

توزيع اليهود في أقضية ونواحي لواء البصرة

اسم القضاء	اسم الناحية	عدد اليهود في الناحية
قضاء البصرة	مركز البصرة	٩٩٢١
	ناحية الهارثة	٣٣٢
	ناحية الزبير	٦٥
	ناحية شط العرب	١٠١
قضاء ابو الخصيب	مركز ابي الخصيب	٤٦
	ناحية السيبة	١٠
	ناحية الفاو	٣٠
قضاء القرنة	مركز القرنة	١
	ناحية السويب	٢٨
	ناحية المدينة	٣

وطبقاً للإحصاء التابع لوزارة الاقتصاد العراقية، فإن عدد يهود العراق عام ١٩٥٠ بلغ (١١٨) ألف نسمة، وفي البصرة كان عددهم (١٠,٥٢٧) نسمة.[٧]

وسكنت الطبقات الغنية من اليهود في محلات (الصفات، والقبلة، ومقام علي، والخليلية، والسيف، وأم الدجاج، وعز الدين، وبريهمة)، فيما سكن أصحاب الشأن منهم في محلة الرباط. ولم يكن ليهود العراق حيٌّ خاص بهم بسبب عدم التفرقة العنصرية، بل كان بإمكان اليهودي أن يسكن في أي مكان من المدينة، رغم أنه كان لهم ميل واهتمام بأن يجتمعوا في أحياء معينة. [٨]

وتشكَّل يهود العراق وحدةً متجانسةً غلبت عليها الصفة اليهودية، فلم تكن هناك هجرات يهودية إلى المنطقة عدا ما كان يأتي من إيران، وهذا ما أدى إلى محافظتهم على أسمائهم وتقاليدهم الخاصة مدة طويلة.[٩]

وتمتّع اليهود، بموجب الدستور العراقي الذي صدر عام ١٩٢٥، بكامل حقوقهم كأفراد وطائفة دينية وفق مواد الدستور: (٧٨، ٧٩، ٨٠، ١١٢).[١٠]

أما تنظيمهم الطائفي، فهو موجود بموجب نظام الحاخام خانه الصادر عن الدولة العثمانية، إذ كان هذا النظام يوجب على كل رئيس طائفة من الطوائف الموجودة في البصرة وهو يدوره يخضع الى الحاخام باشي، ويتلقى منه جميع التوجيهات والأوامر اللازمة. [١١]

٣- اوضاعهم الاقتصادية

كانت بداية النشاط الاقتصادي لليهود هو بيع بضائع معينة مفترشين الشوارع أو متجولين يجوبون القرى ليقايضون بعض انتاج المدن بما يتوفر من البيض والدجاج والإنتاج الحيواني أو الزراعي، ولا يزاحمهم احد في تلك الاعمال. [١٢]

وأهتم اليهود بالجانب التجاري ليس في العراق فحسب، بل في جميع البلدان التي وجد فيها اليهود[١٣]، وتركز النشاط التجاري والصيرفي ليهود العراق في بغداد لانها القلب التجاري للعراق، ويأتي بعدها البصرة والموصل[١٤].

فاليهودي يعتبر التجارة مهنة الحياة، ووسيلة جمع المال والعيش بترف، ودرجة عالية من الرقي على حساب غيره، لذلك يستحيل ان ترى يهوديا لا يغش غيره من غير بني جلدته من اليهود، وهذا ما عرف في كتبهم، ويحللون أموال من خالفهم باستعمال في معاملاتهم[١٥]. واليهودي بطبيعته محب للعيش وعادة يميل من أجل الاستحواذ على المال بكل وسيلة ممكنة، وله المقدرة على التحمل والصبر والقناعة بالقليل، وهدفهم وغايتهم هو رفع المستوى المعاشي لابناء طافئتهم على حساب الاخرين ولهم في هذا المجال ذكاء مفرط ونفس طويل وخطط نصب الاهداف مباشرة في كثير من الاحيان[١٦].

واتسع النشاط الاقتصادي لليهود بعد نزول القوات البريطانية في العراق في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨)، وحاجة الاله الحربية البريطانية وقواتها في العراق لخدمات اليهود،إذ اصبحوا موردين للأطعمة وتجهيز المعدات والآلات الحربية، كما وأن استقرار الأوضاع السياسية والاقتصادية في العراق

بعد تأسيس الدولة العراقية عام (١٩٢١) قد ساعد على زيادة خبراتهم في الجانب في مجال الاستيراد والتصدير والشركات والدول الأجنبية، فضلا عن سياسة التسامح الديني التي انتهجتها الدولة العراقية وحرية العمل جعلت يهود العراق يأخذون دورهم المؤثر في عجلة رسم التجارة دون أي صعوبات[١٧].

واستطاع اليهود في العراق عبر سنوات طويلة جمع أموال كبيرة من خلال الأعمال التجارية والصيرفة والربا، فاستحوذ على زمام الامور المالية والاقتصادية في البلاد، حتى اصبح حوالي ٩٥٪ واردات العراق قبل الحرب العالمية الثانية بأيدي اليهود وبلغت ٨٠٪ خلال هذه الحرب، و٥٠% بعدها ان وضمت الحرب أوزارها[١٨].

واليهود مهتمون بشكل خاص بالتجارة المحلية فعليا، ولا يستطيع المسلمون والمسيحيون التنافس معهم، وحتى ان كبار تجار المسلمين يعزون ثرواتهم إلى اليهود ذوي القابلية ممن كأنوا ممن كانوا قد عملوا لسنوات طويلة بوظيفة كتابية وهؤلاء وراء شركاتهم، وان المواد الرئيسية في التجارة اليهودية هي سلع مانشستر النسيجية والتجار المحليين قد جمعوا ثروات كبيرة في استيراد هذه السلع في مانشستر وتصديرها إلى إيران[١٩].

وانصب اهتمام التجار اليهود بالاستيراد دون التصدير ولم نجد تاجر يهودي اهتم بالتصدير، عدا قيامهم بتصدير الحبوب والتمور، وان سيطرة اليهود في العراق على التجارة ادت الى ظهور اسر تجارية، واصبحت لها اسماء مرموقة ومكانة رفيعة في عالم التجارة[٢٠].

وبعد ان سيطر التجار اليهود على الغرف التجارية في العراق، فلقد تم في الخامس عشر من تشرين الاول ١٩٢٦، انتخاب اول هيئة ادارية لغرفة تجارة البصرة، وانتخب التجار البصريون اول مجلس ادارة لهم مكون من تسع اعضاء اثنان منهم من تجار يهود البصرة وهم كل من (حسقيل سوفيل وساسون موردي) وان رؤوس اموال التجار اليهود المتدولة في السوق هي المحرك الاساسي، للتجارة في البصرة والعراق[٢١]

ورافق العمل التجاري حياة اغلب اليهود , بذالك اكتسبوا خبرة و علاقات تجارية واسعة تفوقوا فيها عن غيرهم في التجار العراقين, فأعسكر بلحلقات الاساسية للتجارة العراقية و سيطروا عليها وقادوها من خلال شركات تجارية أقاموها بموجب قانون التجارة العثماني لسنة ١٩١٨، الذي طُبّق في فترة الاحتلال العسكري للعراق ١٩١٨ – ١٩٢٠ واستمر حتى عام ١٩٥٢، واستطاعت الشركات اليهودية السيطرة مباشرة على السوق العراقية[٢٢].

تنحصر تجارة الأقمشة في البصرة بالطائفة اليهودية فما أُتيح لأحد غيرهم يدخل هذا الفرع من التجارة [٢٣]، واحتكر التجار اليهود استيراد الأقمشة منذ عام ١٩١٠ حتى رحيلهم من العراق بصورة نهائية عام ١٩٥١، وكان لإسهامهم، النسبة الكبيرة من التجار والشركات اليهودية المستوردة للأقمشة والمنسوجات الحريرية والصوفية، أن يكون للأسواق رواج كبير وهمة ونشاط وتجار صغار وكبار في البصرة[٢٤].

اشتهر تجار جوخ البزازين ابراهيم حزقيل وابراهيم خليل وإبراهيم كرجي وإلياهو روفائيل وخضوري إلياهو شماس، وتسيم عزرا نسيم، وسليم مير، ويافته، وساسون زنجير، وسلان عزرا، وعود ساسون. وأشهر مستوردين للأقمشة الصوفية في البصرة عبوديا وسوان عزرا يوسف عزرا يوسف. وانصب اهتمام اليهود بالخياطة فافتتحوا محلات عدة للخياطة قامت بصرف الأقمشة المستوردة، ومن أشهر الخياطين اليهود في العراق إلياهو ياسمين في شارع ابن غزوان في البصرة، وحزقيل شالوم في شارع الخضيري، وخضوري مراد جوين في شارع البزازين، وكرجي حزقيل في شارع الصيادلة في البصرة[٢٥].

واهتمت الشركات والوكالات التجارية اليهودية باستيراد الإطارات للسيارات والأدوات الاحتياطية لها في عام ١٩١٤، وأشهر هذه الشركات في البصرة شركة شفيق ويوسف خضوري، وعُدّ أسهمها (٤٠٠) سهم موزعة بين شفيق وقيمته (٣٠٠) سهم، وقيمة السهم الواحد خمسة عشر دينار عراقي[٢٦]، ويعتبر شفيق عدس من كبار تجار البصرة ومستثمريها وساهم باستيراد دهون محركات السيارات البريطانية والفرنسية والأمريكية، والذي أسهم بالتجسس لصالح الكيان الصهيوني وأُعدم في الثالث والعشرين من أيلول ١٩٤٨[٢٧].

أما تجارة الاسمنت فساهم فيها إبراهيم وشفيق عدس في البصرة، وكما عملوا اليهود في تجارة الخشب، وأهم مستورديها هم عزرا ساسون وبشير خضوري دبي في شارع الملك غازي ببغداد، ومستوردين في خان جلوبن بالبصرة، كما ساهموا اليهود في استيراد المواد الغذائية. إبراهيم وشفيق عدس، ومن المقاولين العاملين في البصرة لهم بشير خضوري دبي[٢٨].

كما أن هناك شركات ووكالات يهودية اهتمت (بالتصدير)، وأهم ما صَدّروه هو الحبوب التي ينتجها العراق وخاصة الحنطة والشعير. اشتهر العراق بإنتاج أنواع فاخرة منها ولا سيما العمبر، وأبرز المصدرين للحبوب من تجار اليهود في البصرة هم حزقيل عزرا ألياهو، وخضوري ساسون، وسلمان سوفير، واحتكر اليهود شراء الحبوب من المزارعين، وهو ما تسبب في ارتفاع أسعارها في بداية الموسم ونهايته، ولم يبالوا (اليهود) بارتفاع أسعارها في السوق المحلية، حيث يقوموا بتصديرها إلى الخارج مقابل أرباح مادية تُضاف إلى رصيدهم من الأموال المكدسة في المصارف والبنوك الأجنبية [٢٩].

ولما كان لواء في مقدمة المدن في انتاج التمور إذ بلغت في نهاية الخمسينات من القرن العشرين خُمسَيْ إنتاجه العالمي، واشتهرت التمور العراقية بجودة أصنافها ومنها الخستاوي والخضراوي والزاهدي والبريم وغيرها وذلك لاستخدامها في الصناعة مثل صناعة السكر والتمر والعلف الحيواني، ونبه التجار العراقيين ومنهم اليهود لما يدره تصديره إلى الخارج وخاصة المستثمرين وأصحاب البساتين من اليهود في البصرة، وكانوا يصدرونه إلى أوروبا الغربية والصين والهند والباكستان وإمارات الخليج العربي، وأهم تجار اليهود المصدرين له هو شاؤول شعشوع في شارع ابن غزوان، يامين موشي في شارع الخضيري، وعزرا باري في شارع البزازين، وهارون منشي في شارع الصيادلة(٣٠). كما وقام عدد من اليهود وخاصة في البصرة بتطوير صناعة التمور باستيراد مكائن خاصة لكبس التمور وإنشاء معامل أهلية، وأهم أصحاب معامل كبس التمور هو منشي عزرا خضوري، أفرايم حسقيل افرايم، وإلياهو إبراهيم(٣١).

وأنشأت أيضاً وكالات لتأمين البضائع المستوردة وأهم شركات التأمين في البصرة هي شركة عبد الله روشانئيل في الشارع التجاري في البصرة، وشركة الياندس في شارع الصيادلة في البصرة (٣٢).

والملاحظ من ذلك أنه كان اهتمام يهود العراق بالاستيراد دون التصدير لدوافع خاصة كانت تدفعهم، لأن التصدير كان يخدم الاقتصاد الوطني العراقي، وطالما كان تفكيرهم بأن بقاءهم في العراق ليس أبدياً وأبدياً، وبالرغم من طيبة العراقيين وتسامحهم في التعامل معهم إلا أنهم كانوا يَرَون أن أرض فلسطين هي مستقرهم النهائي، وعليه يجب إعداد أنفسهم دون البلد الذي يعيشون فيه، وساعدهم في ذلك سياسة الدولة العراقية الرامية إلى الانفتاح على الاستيراد، وعدم وضع ضوابط معينة تحدد نسب الاستيراد وفرض الرسوم الكمركية والرسوم الأخرى، وكان أيضاً ينظر إلى العراق على أنه بلد زراعي وهو بحاجة إلى استيراد الكثير من المواد المصنعة. وهذا هو الذي جعل أغلب اليهود العراقيين ينصرفون إلى الاستيراد وتحقيق أرباح طائلة ووضعها في المصارف الأجنبية خارج العراق لخدمة الصهيونية العالمية.

٤-طرق وأساليب اليهود في السيطرة على الأراضي الزراعية والعقارات

استغل يهود العراق الأوضاع السياسية غير المستقرة والتخبط الإداري وحالة الفوضى التي سادت العراق عقب الانسحاب العثماني ومحاولة بريطانيا فرض سلطتها على الأراضي وحدودها ونيتها التصرف بها، وخلا ذلك لهم واستحوذوا على أراضٍ بأبخس الاثمان تحقيقاً لغايتهم الخاصة بالسيطرة على الأراضي التي تقع على جانبي نهر الفرات، وحشدوا لذلك كل إمكانياتهم وطاقاتهم وأساليبهم للسيطرة والاستحواذ على الأراضي ولا سيما الزراعية من خلال إغراء الموظفين أصحاب صنع القرار في الدولة من أجل الحصول على سندات تملك الأراضي المزارعين بيد اليهود، وإغراق المزارعين المحليين بالديون عن طريق الربا

مستغلين حاجتهم إلى المال لشراء الأجهزة والبذور وحالة الفقر، وتحسين أراضيهم الزراعية، وبما أن الناتج الزراعي للمزارعين لا يسد ديون المرابين اليهود فلم يكن أمام الفلاح إلا أن يسجل ملكية أراضيه لليهود في أرضه(٣٣).

وعمل اليهود على التنسيق مع كبار الموظفين في الإدارة البريطانية والمهيمنين على مشاريع الري في العراق لمعرفة أفضل الأراضي الزراعية وأكثرها جودة، وتشجيع المصارف اليهودية ودعمها واستنادها لليهود والعراقيين من أجل شراء الأراضي ولا سيما الزراعية، واستغلال الأنظمة والقوانين التي شارك في تشريعها كبار الموظفين اليهود، والتي شُرعت بقصد خدمة القطاع الزراعي في العراق وتطويره، ومنها قانون منح مضخة على سقي الأراضي الزراعية، وبما أن اليهود هم الموردون لهذه المضخات لذا تحققت غايتهم في الحصول على مزيد من الأراضي بتكليفهم المزارعين بكلفة أراضيهم وأملاكهم مع كبار مرابين اليهود من أجل ضخة ماء لري أراضيهم(٣٤).

ونشر اليهود الربا وذلك عن طريق رهن وسندات أملاك الملاكين والمزارعين، واللجوء إلى وسائل رديئة لتصريف أرباح المحاصيل الزراعية، واللجوء إلى الاقتراض بالربا، والضغط على كبار الموظفين البريطانيين لتعيين اليهود في دوائر الطابو عبر استخدام وسائل رديئة للاستحواذ على الأراضي الزراعية والعقارات المتاحة في المدن العراقية.

واهتم كبار ملاكي اليهود بقطاع الأراضي الزراعية أكثر من اهتمامهم بالعقار؛ وذلك لأن أسلوب الربا الذي مارسه اليهود جعل الربا أسهل وأسرع في الحصول عليها من العقارات في المدن، وتعد ديون آل جميل من أكبر وأضخم الأموال. والأراضي الزراعية في البصرة هي تلك التي امتلكتها عائلة دانيال في البصرة، منهم: سليم ساسون صالح دانيال، وخضوري ساسون صالح دانيال، وساسون صالح دانيال، ومناعيم صالح دانيال، الذي كان يمثل الطائفة اليهودية في مجلس الأعيان. ومن ملاكي العقار في البصرة هم: شحاطة معلم، وحزقيل شومواوود، وشمش موشي، وساسون صابونجي، وداود نسيم موشي(٣٥).

لقد حقق يهود العراق من جراء السيطرة على الإنتاج الزراعي أرباحاً هائلة وجمعوا الأموال الكثيرة، ولم يستثمروها في خدمة الاقتصاد الوطني، بل إنهم هربوا أموالهم بالطرائق المختلفة إلى الخارج لشراء الأراضي في فلسطين. وعلى سبيل المثال، التاجر البصري اليهودي المعروف حسقيل يوسف شاؤول الذي سجل أملاكه عام ١٩٢٢ وعقداً واشترط أن يقوم هو بتولي إدارتها ما دام على قيد الحياة، ومن ثم يكون بيد (حاييم وايزمن) الذي أصبح فيما بعد أول رئيس للكيان الصهيوني! وصادقت محكمة استئناف البصرة على هذا، إلا أن وزارة المالية العراقية رفضت ذلك(٣٦).

٥-الحالة التعليمية لليهود

بعد قيام الدولة العراقية عام ١٩٢١ توسعت نظم المدارس اليهودية وزاد عدد طلابها، وقد سعت حكومة العراقية بعد الاستقلال لاتباع سياسة تعليمية تهدف إلى تضييق الفوارق بين الأقليات سعياً وراء الوحدة الوطنية، وزاد عدد المقبولين من اليهود في المدارس الحكومية، كما تميزت التعليم بنسبة عالية المواضيع الدينية، وسعت إلى تعيين مدرسين غير اليهود في المدارس اليهودية وساهمت في تقديم الإعانات إلى المدارس اليهودية، إلى جانب صندوق الطائفة، وزاد ذلك في تعميق الارتباط بين اليهود والثقافة العربية، ولكنها لم تتبع سياسة التمييز في التعليم، فقد زاد عدد الطلبة اليهود في المدارس الحكومية وخاصة في الصفوف العليا من المدارس الثانوية وفي الكليات، أما التعليم الابتدائي ظلت تسوده أغلبيته اليهودية [٣٧].

كما أن عدد اليهود المرشحين للمدارس الحكومية في الخارج كان في ازدياد، وكانت المدارس اليهودية حتى العام ١٩٥٠ (١٤) أربع عشرة مدرسة أهلية، أربع منها تعتمد على إيرادات الأوقاف للطائفة اليهودية، والمدارس المتبقية معظمها لا أوقاف لها، تعتمد على الإعانة والمجلس الكنساني، وتُشرف وزارة المعارف العراقية على هذه المدارس ولا يجوز تأسيس أي مدرسة إلا بإجازة ورخصة منها، كما تشترط وزارة المعارف استخدام المعلمين الذين تعينهم أو تقرهم لتدريس التاريخ والجغرافية والدروس الوطنية واللغة العربية، على أن تدفع هذه المدارس رواتب هؤلاء المعلمين الذين يقومون بتدريس الدروس بحسب منهج وزارة المعارف، وأخضعت هذه المدارس لنظام امتحانات وزارة المعارف[٣٨].

لم تستمر الحرية التي تمتعت بها المدارس اليهودية في العراق خلال القرن العشرين وما قبله، وذلك لصدور قانون المعارف سنة ١٩٢٩م الذي تم بموجبه منع الدعاية السياسية والحزبية في المدارس، وفرض رقابة حكومية على المدارس الأهلية في العراق بما في ذلك المدارس اليهودية التي تم تكييفها بالمناهج التي وضعتها وزارة المعارف، إلى جانب ذلك تم منع إحضار المعلمين الأجانب إلى العراق، وهؤلاء ممن كان وجودهم، كما تم منع تدريس اللغة العبرية في المدارس اليهودية وحدها فضلاً عن قراءة كتابهم باللغة العبرية دون الترجمة والتفسير، ومنع تدريس مادة التاريخ اليهودي في هذه المدارس التي خضعت لرقابات[٣٩]ومن المدارس اليهودية التي أُنشئت في البصرة هي مدرسة الأليانس في البصرة الذي أُنشأ في عام ١٩٠٢م وقد بلغ عدد طلابها عام ١٩١٠م (٢٨٥) طالباً، وكان هذا الفرع مدرسة ابتدائية للبنين تواصلت في سنة ١٩٣٦م ستة صفوف[٤٠].

وقد جرى عبر العقود السياسية والاقتصادية لليهوديين البارزين في العراق، وفتح جميع مناهج التعليم في المدارس اليهودية في خدمة أهداف التي وضعتها الحركة الصهيونية العالمية سنة مؤتمرها الأول عام

١٨٩٧م [٤١])، وكانت هذه المدارس القاعدة الاجتماعية والفكرية والسياسية للتوجه الصهيوني في العراق [٤٢].

٦- أهم الجمعيات الصهيونية التي نشأت في المدينة

١- الجمعية الصهيونية في بلاد ما بين النهرين في البصرة:

تأسست في آذار عام ١٩٢٢م في البصرة بتوجيه من الجمعية الصهيونية في (القدس، ولندن) من أجل جمع الأموال لمساعدة المهاجرين اليهود في أرجاء العالم، وسرعان ما انتهى نشاط هذه الجمعية في البصرة وذلك لعدم موافقة الحكومة العراقية على منح التنظيمات الصهيونية التي ظهرت في البصرة ومنها هذه الجمعية ترخيصاً لمزاولة أعمالها.

٢- جمعية خريجي مدرسة أليانس في البصرة:

تأسست عام ١٩٢٤م في البصرة، ومنهاجها أن الغاية من تأسيسها كان لجمع الطلاب الخريجين من المدارس اليهودية في شبكة واحدة وتقديم المساعدة إلى إدارة مدرسة أليانس من بعضها الإعانات لتعزيز مشاريعها الكبرى، بالإضافة إلى إلقاء المحاضرات الأدبية والعلمية[٤٣].

وهكذا، يتضح من ذلك أن المدارس اليهودية والجمعيات الصهيونية التي ظهرت في العراق هي من أهم الوسائل الدعائية لنشر الحركة الصهيونية، والتي أسهمت في تكوين الاتجاهات الصهيونية أهدافها العنصرية ومن أجل تهيئة وإعداد يهود العراق للهجرة والسيطرة والاستفادة منهم في تأسيس كيانهم المزعوم.

الخاتمة :

خلص البحث، من خلال تتبع أوضاع الأقلية اليهودية في البصرة وتحليل تطورها في سياق التحولات التي شهدها العراق خلال النصف الأول من القرن العشرين، إلى جملة من النتائج التي يمكن إجمالها بالآتي:

أظهر البحث أن الوجود اليهودي في البصرة لم يكن ظاهرة طارئة ارتبطت بقيام الدولة العراقية الحديثة، وإنما امتلك جذوراً تاريخية سابقة، ساعد موقع المدينة التجاري واتصالها بالخليج العربي ومراكز التجارة الإقليمية والدولية على استمرارها وتنامي دورها في الحياة الحضرية.

كشفت الدراسة أن يهود البصرة كانوا جزءاً من التركيبة السكانية والاجتماعية للمدينة، وأنهم امتلكوا مؤسساتهم الدينية والاجتماعية والتعليمية، مع احتفاظهم بخصوصيتهم الدينية والثقافية، من دون أن يحول ذلك دون وجود علاقات وتفاعلات يومية واقتصادية مع بقية مكونات المجتمع البصري.

بيّن البحث أن النشاط الاقتصادي مثّل أحد أبرز مجالات حضور اليهود في البصرة، إذ مارسوا التجارة والمهن المختلفة، وامتلك بعضهم العقارات والأراضي، وأسهم موقع البصرة وميناؤها وصلاتها التجارية الخارجية في توفير بيئة ملائمة لنشاط عدد من التجار اليهود واتساع معاملاتهم.

احتل التعليم موقعاً مهماً في حياة الجماعة اليهودية، وأسهمت المدارس والمؤسسات التعليمية، ومنها المدارس المرتبطة بشبكة الأليانس، في توفير التعليم لأبنائها والانفتاح على اللغات والمعارف الحديثة، وهو ما انعكس على مشاركتهم في النشاط الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للمدينة.

أوضحت الدراسة ضرورة التمييز بين يهود البصرة بوصفهم جماعة دينية واجتماعية عاشت ضمن المجتمع العراقي، وبين الحركة الصهيونية بوصفها مشروعاً سياسياً وفكرياً. فلم يكن الموقف من الصهيونية واحداً لدى جميع اليهود، كما أن ظهور نشاط صهيوني وتنظيمات مرتبطة به لا يبرر إسقاطه على الجماعة اليهودية بأكملها.

تأثرت أوضاع يهود البصرة بصورة متزايدة بالتطورات السياسية التي تجاوزت الإطار المحلي، ولا سيما التحولات التي شهدها العراق والمنطقة والقضية الفلسطينية وتصاعد الصراع العربي–الصهيوني، الأمر الذي جعل أوضاعهم الداخلية أكثر ارتباطاً بالتوترات السياسية الإقليمية والدولية.

أظهر البحث أن التحول الذي أصاب أوضاع الأقلية اليهودية لم يكن نتيجة عامل منفرد، بل جاء حصيلة تداخل عوامل سياسية واجتماعية واقتصادية وفكرية داخلية وخارجية؛ ومن ثم فإن تفسير تراجع وجودها اللاحق في البصرة يحتاج إلى وضع تلك العوامل ضمن سياقها التاريخي المتكامل، بعيداً عن التفسيرات الأحادية.

وبذلك تكشف دراسة الأقلية اليهودية في البصرة عن جانب مهم من تاريخ المدينة الاجتماعي والاقتصادي، وتوضح أن تاريخ هذه الجماعة لا يمكن فهمه بمعزل عن تاريخ البصرة والعراق وتحولاتهما السياسية والاجتماعية. كما تؤكد أن تناول الموضوع تاريخياً يقتضي الفصل بين الانتماء الديني لليهود العراقيين وبين المواقف والتنظيمات السياسية، وربط التحولات التي طرأت على وجودهم بالظروف المحلية والإقليمية والدولية التي أحاطت بهم خلال المرحلة موضوع البحث.

قائمة الهوامش

(١) جاسم داخل، البصرة مدينة التنوع الديني والثقافي منذ القدم، صحيفة الشرق الأوسط، جريدة العرب الدولية، العدد (١٠٩٢٨)، الأربعاء ٢٩ تشرين الأول ٢٠٠٨، ص١.

(٢) خلدون ناجي، الأقلية اليهودية في العراق بين سنة ١٩٢١– ١٩٢١، ج ١، مركز دراسات فلسطينية، بغداد، ١٩٧٥، ص ٨١.

(٣) صباح عبد الرحمن ، النشاط الاقتصادي ليهود العراق، بغداد، ٢٠٠٢. ص ٣٥.

(٤) فيبي مار، تاريخ العراق المعار العهد الملكي، ترجمة مصطفى نعمان احمد، ط١، (بغداد، ٢٠٠٦) ص ٢٥.

(٥) صباح عبد الرحمن ، المصدر السابق، ص ص ٤٣– ٤٤.

(٦)خلدون ناجي، الاقلية اليهودية في العراق بين سنة ١٩٢١– ١٩٥٢، ج ٢، ط ١، مركز دراسات فلسطينية، بغداد، ١٩٧٦، ص ١٧٨.

(٧) أحمد عبد القادر الجنابي، اليهود والاقتصاد اليهودي في العراق ١٩٢٠–١٩٥٢، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة المستنصرية، ١٩٩٣، ص ١٠.

(٨) صباح عبد الرحمن، مصدر سابق، ص ص ٤٢–٤٤..

(٩) رشيد الخيون، الأديان ومذاهبها بالعراق، منشورات روح الامين، ٢٠٠٥، ص ٢٨.

(١٠) خلدون ناجي، المصدر السابق، ص ص ٩٣– ٩٧.

(١١) ألكسندر آداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة هاشم طه التكريتي، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٨٢، ص ٢٣٤ .

(١٢) عباس بغدادي، بغداد في العشرينيات، بغداد، ٢٠٠٠، ص ٢٦٧.

(١٣) فخري الزبيدي، بغداد ١٩٠٠ حتى سنة ١٩٣٤، ج ١، بغداد، ١٩٩٠، ص ١٥٧.

(١٤) صادق حسن السوداني، النشاط الصهيوني في العراق ١٩٢١– ١٩٥٢، بغداد، ١٩٨٠، ص ٢٤.

(١٥) فخري الزبيدي، المصدر السابق، ص ١٥٧.

(١٦).يعقوب يوسف كورية، يهود العراق تاريخهم واحوالهم وهجرتهم، عمان ١٩٩٨، ص ٣٥.

(١٧) صباح عبد الرحمن، المصدر السابق، ص ص ٦٢-٦٣

(١٨) احمد عبد القادر مخلص القيسي، المصدر السابق، ص ٢٥.

(١٩) عبد المجيد كامل التكريتي،يهود العراق في الوثائق البريطانية، دراسة تاريخية، بغداد،١٩٩٥، ص ٦.

(٢٠) عباس بغدادي، المصدر السابق، ص ٤٠.

(٢١) صباح عبد الرحمن، المصدر السابق، ص ص٧٢- ٧٤.

(٢٢) أحمد عبد القادر قاسم العبيدي، المصدر السابق، ص ١٥٥.

(٢٣) فيرز حسن خان، تاريخ ولاية البصرة دراسة في الأحوال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ترجمة محمود وصفي أبو علي، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٨٠، ص ٨٠.

(٢٤) صباح عبد الرحمن، المصدر السابق، ص١٠١.

(٢٥) صباح عبد الرحمن، المصدر السابق، ص١٠١.

(٢٦) يوسف يعقوب كورية، المصدر السابق، ص ص ٢٦٧ - ٢٧٠.

(٢٧) خلدون ناجي، الأقلية اليهودية في العراق، ج٢، المصدر سابق، ص ٩٠.

(٢٨) يعقوب يوسف كوريه، المصدر سابق، ص ٢٧٨.

(٢٩)المصدر نفسه.

(٣٠) صباح عبد الرحمن، المصدر سابق، ص ١٥٢.

(٣١) المصدر نفسه، ص ١٥٤.

(٣٢) يعقوب يوسف كوريه، المصدر السابق، ص ٢٣٩.

(٣٣) صباح عبد الرحمن، المصدر سابق، ص ١٥٢.

(٣٤) احمد عبد القادر مخلص القيسي، المصدر السابق، ص ٤٠.

(٣٥) المصدر نفسه، ص ٣٦.

(٣٦) صباح عبد الرحمن، المصدر سابق، ص ١٥٢.

(٣٧) فاضل البراك، المدارس اليهودية في العراق، بحث ضمن مجلة آفاق عربية، العدد الأول، السنة العاشرة، أيلول ١٩٨٤، ص ٥٢.

(٣٨) خلدون ناجي، الأقلية اليهودية في العراق (ج١)، مصدر سابق، ص ص ١٤٢ – ١٥٠.

(٣٩) سعد سلمان عبد الله، النشاط الدعائي للصهيونية في العراق ١٩١٧ – ١٩٥٢م، القاهرة، ١٩٩٩، ص ١٤٥.

(٤٠) فاضل البراك، المدارس اليهودية والإيرانية في العراق دراسة مقارنة، ج١، بغداد، ١٩٨٥، ص ٢١.

(٤١) خلدون ناجي، الأقلية اليهودية في العراق، ج١، ص ١٠٣.

(٤٢) للمزيد من التفاصيل عن النشاط الصهيوني في العراق انظر:

صادق حسن السوداني، المصدر السابق، ص ص ٢٠٤– ٢٠٥.

(٤٣) سعد سلمان عبد الله، المصدر السابق، ص ص ٩٨ – ٩٩.